مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

The structure of the pun and its literary effects in the poetry of Ibn Hajar Al–Asqalani ((d. 852 AH

Asmaa Najem Abdulmalik Al–Dulaimi
University of Anbar
College of Education for Girls
Assmaanajem00@gmail.com
07813329682

Prof.Dr. Hassan Salem Hindi Ismaeel
University of Anbar
College of Education for Girls
edw.ally–98@uoanbar.edu.iq

Abstract: **In this research, God willing, we will explore the value of puns as an integral and original structure in literature. Because it penetrates into the depth of the text by enriching the significance, and this will lead to the widening of the text spaces and enrich its literature; We will address these hypotheses and try to convince the reader through a poetic model from the ancient heritage. The sample was the "Diwan of Ibn Hajar Al–Asqalani (d. 852 AH)", as it carried a wide range of innovated styles – and here is the pun – that did not stop at the level of external decoration; Rather, it extended to the formation of the in–depth literary image that needs contemplation and reflection, so that the reader can explore its value, and the research consists of a theoretical description of the limits of the pun within its historical con–text, and within the contemporary rhetorical vision as well, with an analysis of poetic choices.**

Keywords: **structure, the pun, the Budaiya, the literary, Ibn Hajar al–Asqalani**

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

بنية التورية وآثارها الأدبية في شعر ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

أسماء نجم عبد المالك الدليمي
جامعة الانبار/كلية التربية للبنات
asmaanajem00@gmail.com
07813329682

أ.د. حسن سالم هندي إسماعيل
جامعة الانبار /كلية التربية للبنات
edw.ally-98@uoanbar.edu.iq

الملخص:

سنعمل في هذا البحث –إن شاء الله– على استكشاف قيمة التورية بوصفها بُنية متكاملة وأصيلة في الأدب؛ لأنها تنفذ إلى عمق النص من خلال إثراء الدلالة، وهذا سيؤدي إلى اتساع فضاءات النص ويثري أدبيته؛ وسنعالج هذه الفرضيات ومحاولة اقناع القارئ من خلال أنموذج شعري من التراث التليد، فكانت العينة هي "ديوان ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)" إذ حمل كمًا واسعًا من الأساليب البديعية –وهنا التورية – التي لم تتوقف عند مستوى التزيين الخارجي؛ بل امتدت إلى تشكيل الصورة الأدبية المعمقة التي تحتاج إلى تأمل وإجالة الفكر، حتى يستكشف القارئ قيمتها، وتكون البحث من توصيف نظري لحدود التورية في ضمن سياقها التاريخي، وفي ضمن الرؤية البلاغية المعاصرة أيضًا، مع تحليل لاختيارات شعرية.

الكلمات المفتاحية : بنية، التورية، البديع، الأدبية، ابن حجر العسقلاني

بنية التورية وآثارها الأدبية في شعر ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

أسماء نجم عبد المالك الدليمي
جامعة الأنبار–كلية التربية للبنات

أ.د. حسن سالم هندي إسماعيل
جامعة الأنبار–كلية التربية للبنات

المقدمة:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد رسول الله..

تتأتى أهمية الأسلوب البديعي من ارتباطه بالاختراع والجدة على غير مثال سابق، زدْ على ذلك ابتعاد بعض الباحثين عنه على أساس أنّه يُعَدّ في ضمن مخطط التحسين الزائد عن أصل المعنى، لكن التدقيق بالتراث العربي، وما استجد من نظريات بلاغية ونقدية معاصرة تحمل الباحث على إعادة النظر في هذا الأسلوب البديعي – ومنه التورية – ولاسيما ارتباطهما بالبعد الدلالي الذي يؤدي إلى رفد النص بطاقة أدبية عالية تتأتى من فاعلية الأسلوب البديعي في تماسك النص من خلال ترابط عواطف – النص– وأخيلته التي تتناغم مع البنية التكوينية لأسلوب التورية الذي يُبنى على ركنين رئيسين؛ عميق وسطحي.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

لقد حاولنا تطبيق هذه الفرضيات على ديوان ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت ٨٥٢هـ) إذ ينتمي شعره إلى حقبة ازدحمت بالبديع، لكنه تميز عن أقرانه بصدق العاطفة وتلقائية مجيء الأسلوب البديعي، ولا سيما في المدائح النبوية، وما قاله في حق العلماء، ومن طرائف التندر وألغازه التي تتطلب أسلوب التورية لما يحمله من خفاء وترميز الذي يثري النص، ويوسع من دلالته الإبداعية، وسنعمل في هذا البحث بحسب المحاور البحثية الآتية:

- الملخص؛ وفيه يتعرف القارئ على فكرة البحث، ومفتاحياته الرئيسة.
- المقدمة؛ وهي عرضٌ تقديمي لأسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والمنهج المتبع.
- المبحث الأول/ المهاد النظري؛ وسنعرض فيه المفاهيم المعرفية الرئيسة في البحث؛ من بنية، ،تعريف بالتورية وحدودها، مع تعريف موجز بالشاعر ومكانته العلمية واهتماماته الأدبية.
- المبحث الثاني/ تطبيقات من بُنى التورية في شعر ابن حجر؛ ونختار فيه عينات من شعر الإمام ابن حجر العسقلاني "رحمه الله" لنستكشف القيمة الجمالية التي تتحقق من خلال توظيف البُنية الدلالية للتورية في شعره.

المبحث الأول/ المهاد النظري

البنية وتوظيفها البلاغي: تتجه الأنظار للبديع بوصفه معيارًا تحليليا يتعامل مع البنية العميقة للنص، التي تتناغم مع المعنى الأدبي المنتج، والبعد التخييلي للنصوص الإبداعية الذي يتأتى من طرق عدة، ولاسيما أن هذه الدلالات للفظة تتأتى من الأصل اللغوي الذي تقوم عليه لفظ "البنية" إذ من معانيها؛ مجموعة الأعمدة التي تشكل البنية، ومنه الطرق المتشعبة من الجادة[١]، فكأنها وصف للأشكال والمتصورات التخيليّة التي تنتظم بوساطتها الأساليب البديعية لتؤدي أغراضًا جمالية، وترفد النص بطاقة أدبية عالية[٢]. وللبنية

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور: مادة (بنى).

(٢) ينظر البنية والبنيوية، البنية اللغوية والاصطلاح النقدي، يوسف وغليس، مجلة الدراسات اللغوية، مخبر الدرسات اللغوية، الجزائر: ٢١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

استعمالات عدة، والذي نوظّفهُ هنا؛ توصيف بنية الأثر الأدبي المتأتي من الروافد البلاغية، وتحليلها عبْرَ تحديد العناصر الفنية وتأملها، وعدم الاكتفاء برصد الأسلوب البلاغي واصدار التوصيفات العامة(١).

مفهوم التَّورية:

تعدُّ التورية من الأساليب البلاغية المهمة التي لها أبعاد دلالية تَسهمُ في إثراء التصوير البديعي، وتعميق الطابع الرمزي للأعمال الإبداعية؛ إذ إنَّ القارئ قد يقع في الإيهام وعدم القدرة على تفسير النص وتحليله، لكن بعد التأمل وإجالة الفكر سيكتشف المعنى الفني الإبداعي في النص، إذ تقوم التورية على لفظ واحد يحتمل معنين: قريب ظاهر غير مقصود، وآخر بعيد مقصود فيه نوع من الخفاء وهو المقصود، فتكون هذه المعاني الإبداعية بُنى من الأخيلة والأحاسيس التي من شأنها إثراء المظاهر الدلالية(٢).

ولا سيما إذا تم توظيفها متظافرة مع التعبير المجازي لتحقيق غرض تواصلي جمالي لا يتحقق بالتعابير التقديرية المباشرة، لما فيها من طرائف المعاني، ورشاقة التعبير، وتحقق عنصر المفاجأة والإثارة التي هي من العناصر المهمة في المظاهر الدلالية للبنى البديعية، وتتميز التورية بقوة الترابط بين المفهوم الاصطلاحي وما بين الأصل اللغوي الذي تقوم عليه اللفظة، فالتورية لغة: من وَرَى، ويقال: « وقد أَلْغَزَ في كلامه يُلْغِزُ إِلغازاً إِذا ورَّى فيه وعَرَّضَ ليَخْفَى ... ووَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيةً إِذا سترته وأَظهرت غيره»(٣).

وعلى الرغم من انسيابية تطور هذا المصطلح وفاعليته الدلالية؛ إلَّا أنَّه لا يُعدم بعض التداخل بينه وبين المصطلحات الأُخرى، ولا سيما عند المتقدمين، فعدَّها ابن رشيق القيرواني من أبواب (الإشارة) لذا فإنَّها تقترب في حدودها المفاهيمية عند ابن رشيق من الكناية(٤).

بَيْدَ أنَّ «التورية تسمى الإيهام والتوجيه والتخيل والمغالطة»(٥).

---

(١) ينظر مصطلحات نقد الرواية: ٣٧–٣٨. وينظر أنغلاق البنية وانفتاحها: ٧٥٧، ٧٧٦.

(٢) ينظر: البلاغة العربية، أُسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة: ٣٧٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور: (ورى).

(٤) ينظر: العمدة لابن رشيق: ١/ ٣١١.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: ٣٨٣؛ وينظر مصادره: المثل السائر، لابن الأثير: ٢/ ٢١٥، ٢١٩؛ وتحرير التحبير: ٢٦٨؛ وحسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) تحقيق؛ أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٩٨٠م: ٢٤٩، وغيرها.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فالسكَّاكيّ (ت: ٦٢٦ هـ) مثلاً تحدَّث عن (الإيهام)، وقصد به "التورية"؛ إذ عرَّفه بقوله: «وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لإيهام القريب في الحال على أن يظهر ان المراد به البعيد»[١].

وكذلك عرَّف "التوجيه" بقوله: «وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين »[٢].

والملاحظُ من تعريفات السكَّاكي (ت: ٦٢٦ هـ) على أهميتها أنَّه لم يفصِّل القولَ بهذا الأُسلوب، وكذلك لم يُكثر من الشواهد الدَّالة على هذه الأساليب البديعية، مثلما نجد عند المصري في كتابه (تحرير التحبير) اذ عقد لها بابًا سمَّاه (التورية)، وقال: «ويسمى التوجيه، وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله»[٣].

وقد أورد عددًا من الشواهد، وقام بتحليلها، وبيَّنَ أركان التورية، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة[٤]:

أَيُّهـــــا المُـــــنكِحُ الثُّـــــرَيّا سُـــــهَيلاً عَمـــــــرَكَ اللهَ كَيـــــــفَ يَلتَقِيـــــــانِ

هِـــــيَ شـــــامِيَّةٌ إِذا مـــــا اِســـــتَقَلَّت وَسُـــــــهيلٌ إِذا اِســـــــتَقَلَّ يَمـــــــانِ

«فذكر عمر (الثُرَيّا، وسُهَيلاً) ليوهم السامع أنَّه يريد النجمين المشهورين...، وهو يريد صاحبته، وكان أبوها قد زوجَّها برجل من أهل اليمن ... »[٥]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ "المغالطة" هي تسمية للتورية نفسها مع تحديد تحديد لطيف للعلماء، ومن ذلك ما اورده "يحيى ابن حمزة العلوي ت ٧٤٥هـ "إذ عدَّها من أضرب التورية، مع " أن المغالطة كما ذكرناه إنما تكون بالألفاظ المشتركة وهي دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعا، وقد يرادان جميعا بالقصد والنية، بخلاف الألغاز، فإنه ليس دالا على معنيين بطريق الاشتراك ولكنه دال على معنى

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي: ٤٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع المصري (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: د. حنفي مُحَمَّد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– الجمهورية العربية المتحدة: ٢٦٨.

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الشيخ مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي– القاهرة، ط/١، ١٣٧١هـ– ١٩٥٢م: ٤٩٥، وعدَّه من الشعر المنسوب إلى عمر بن أبي ربيعة .

(٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٢٦٨.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ"[١]. في حين أنَّ التخيل قد أخذ بعدًا دلاليًا في ضمن الواقعة التنظيرية والتطبيقية، إذ إنَّه يقترب من الأساليب البيانية من حيث أنَّه قوام تحقيق الإبداع الفني[٢].

فنلحظ هنا –بداية– اتضاح الأُسلوب، والاتجاه نحو بنية رئيسة وتفريعات، بمعنى أنَّ ورود التسميات المختلفة ممكن أنْ تنتظم في أنواع التورية وبحسب العلاقة بين البنيتين المعنويتين المشكلة للمصطلح، ومن ذلك ما وجدناه عند بدر الدين بن مالك (ت: ٦٨٦ هـ) اذ أنَّ التورية كانت على أنواع، وهي[٣]:

١– التورية المجرَّدة: وهي التي لا يوجد قبل المورّى ولا بعده لازمة من لوازم المورَّى به، بل المسألة تقديرية وبحسب قراءة المتلقي وقدرته على استكشاف مكامن النص.

٢– التورية المرشَّحة بما قبلها: وهي وجود لفظ قبل التورية يدل على المعنى العميق الذي كان مقصدية المبدع.

٣– التورية المرشحة بما بعدها: وهي بخلاف السابقة، فيتكون هنالك ما يدل على المعنى العميق.

اعتمد المُحدَثون هذه الحدود، وهذَّبوا التقسيمات والأنواع، والتأكيد على القيمة الدلالية للتورية وقدرتها التخيلية، فحصرها الدكتور عبد الرحمن حبنكة بأقسامها الثلاثة فقط، وهي «التورية المجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد، والتورية المرشحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، سواء أكان هذا المقارن قبل اللفظ المستعمل في التورية أو بعده، والتورية المبيِّنة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد المقصود باللفظ»[٤].

(١) – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، لناشر: المكتبة العصرية – بيروت.، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٣٧/٣.

(٢) – ينظر معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب: ٢/ ١١٧.

(٣) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين ابن مالك الشهير بابن الناظم (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب– القاهرة، ط/١، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م: ٢٦٠– ٢٦٢.

(٤) البلاغة أُسسها وعلومها وأفانينها، عبد الرحمن حبنكة: ١/ ٧٤٨.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وتجدر الإشارة إلى أنَّ من المحدثين من اختزله التورية بقسمين اثنين: مجردة، ومرشحة، وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب(١).

وهذا ما يحملنا بالعناية بالتورية وأبعادها الدلالية الواضحة والمؤثرة والتي لها «ذات دور هام لم تُجتلب لتأدية معنى إضافي، أو تحسين عرضي، فعدها من البديع فيه تسامح، وأجدر بها أن تلحق بأقسام البيان إنصافاً ووصفاً لكل فن في موضعه»(٢).

وما ذلك إلَّا لإمكانية توظيف (التورية) في إثراء الجوانب الدلالية والتخيلية بوصفها بنية متكاملة من الأحاسيس والأخيلة الممتزجة بالعاطفة.

نبذة عن الشاعر، حياته، مكانته العلمية، شعره:

هو " أحمد بن عليّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن محمود بن أحمد "(٣) والمشهور بلقبه شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر العسقلاني(٤). امتازت شخصيته بالسعة العلمية والمقدرة الفذة على التأليف؛ فهو المقرئ والحافظ، والفقيه والمفسر، وتولى القضاء والإفتاء والخطابة والإمامة، والتدريس(٥).

زد على ذلك ترك لنا تراثًا أدبيًا مهمًا وملاحظات نقدية دقيقة. وعملت هذه السعة بالوقت نفسه على تكرار الترجمات لهذا العالم الجليل، وأهمها كتاب" الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ"(٦) الذي تخصص بالترجمة للإمام ابن حجر العسقلاني.

---

(١) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين: ١٠٨.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة– القاهرة، ط/١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م: ١٢/ ٤٢٤.

(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين بن مُحَمَّد السخاوي: ١/١٠١.

(٤) ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت: ٢/١٠٤.

(٥) ينظر العُجاب في بيان الأسباب: أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): ٣٥–٣٦.

(٦) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، وطبقات الحفاظ للسيوطي، رفع الإصر عن قضاة مصر، أبو

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وقد نشأ الإمام بعقلية ناضجة فذة، وكانت سيرته في غاية العفة والوقار والإباء؛ رغم يتمه منذ الصغر، وقرأ القرآن الكريم وحفظه في سنٍ مبكرة و تميَّز بالحفظ بسرعة وبطريقة تأملية، وحج بيت الله الحرام وهو ابن الخامسة مع وصيِّه الذي تكفله يتيمًا، وصلى بالناس وهو ابن اثنتا عشرة سنة[١]. وله اهتمامات أدبية إذ "نظر في فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين، فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطيع الأدب"[٢] نُقل عنه تقاريظه الحسنة على كتب وقصائد، وبديعيات.. والموازنة بين الشعراء.. وله ديوان حظي بأكثر من تحقيق.. وكان يستشهد بشعره من العلماء القدماء، ويشار إلى تماسك البنى البديعية لديه من تورية وغيرها[٣].

إنَّ هذه السعة الأدبية لابن حجر العسقلاني أدت إلى أنْ يكون محط اهتمام بعض الدراسات وأهمها:

- "الدرس البلاغي في كتاب فتح الباري للعسقلاني (٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ)" رسالة ماجستير للباحثة " رنا خيري مُحَمَّد أبو الخام" كلية التربية- جامعة من، بإشراف أ.م.د. هناء محمود شهاب، انطلقت الباحثة من شمولية هذا الكتاب، وحاولت أن تبيّن جهود الشيخ ابن حجر العسقلاني في علوم البلاغة وآراؤه من خلال أنموذجات مختارة، وبررت ذلك بضخامة المادة الموجودة وعدم إمكانية الاحاطة بكافة الأساليب البلاغية، ولاسيما أن ابن حجر كان يشرح الأوجه البلاغية في الأحاديث النبوية التي وردت في كتابه، وقد أولى اهتمامه لعلمي المعاني والبيان أمّا البديع فقد كان أقل مساحة بحثية وبأساليب محددة.
- بحث بعنوان "فن التوجيه في شعر ابن حجر العسقلاني" للباحثة إيمان عواد الرجب، منشور في مجلة الكلمة(موقع إلكتروني) العدد ١٤٦ يونيو ٢٠١٩م، والفكرة الرئيسة للبحث؛ تتركز حول دراسة التوجيه بوصفه أسلوبًا مستقلًا، وقد اختارت شعر ابن حجر؛ وذلك لأنه ينتمي إلى عصور كثرت فيها الفنون البديعية.

الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق د.علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٤١٨- ١٩٩٨م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

(١) ينظر الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين السخاوي: ١/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) رفع الأصر عن قضاة مصر: ٦٣.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي: ١/ ٢٩٠.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المبحث الثاني/ تطبيقات من بُنى التورية في شعر ابن حجر

لقد ورد أسلوب التورية في شعر ابن حجر العسقلاني رحمه الله على نحو مثري، لأنَّ التورية تترك للقارئ فرصة المشاركة بإنتاج دلالة النص لما فيها من سع وخيال رحب، ومن ذلك قوله في مدح الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن العباس صاحب اليمن[1]:

تـــــنظِّم أَفـــــراد المَعـــــاني صِـــــفاته ... وَجمـــــع المَعـــــالي نظـــــم تِلـــــكَ القَرائِـــــدِ

حَماســـــةُ قَـــــيسٍ في سَماحـــــة حـــــاتِمٍ ... وَحلـــــمُ اِبـــــن قَـــــيس في شَـــــجاعَة خالِـــــدِ

وَيَرفَـــــعُ للعليـــــا قَواعِـــــد بيتـــــه ... وَمـــــن شـــــأنِ إسماعيـــــلَ رفـــــعُ القَواعِـــــدِ

لَـــــهُ قَلَـــــمٌ في مـــــدَّة مِـــــن مـــــداده ... غـــــنى الـــــدهر أَو قمـــــعُ العَـــــدوّ المكايـــــدِ

لقد أراد ابن حجر أنْ يمتدح الملك إسماعيل بن الأفضل الذي أسبغ عليه من الصفات والقيم التي تجمع بين المعاني المتفردة وما بين المعالي التي هو أهل لها، وذكر من الصفات الحماسة والسماحة التي اقترنت بأعلام من العرب أصبحوا رموزًا لهذه القيم، وقد كان هذا التعريض على نمط مدائح أبي تمام: (إقدام عمرو في سماحة حاتم...)، وقد امتد هذا النمط الموازن بوصف الممدوح وتفرده أيضا برفع قواعد العلياء، وممَّا عمَّقَ هذا التتابع في ذكر صفات الممدوح مجيء التورية في لفظة (إسماعيل) بقوله: (ومن شأن إسماعيل رفع القواعد) فالتورية المجردة هنا تقترب من الإيهام.

فالقارئ هو من يوجه المعنى بحسب ما يتوصل إليه، فالمعنى المورَّى به هو ما يخص الملك إسماعيل، وجاء المورَّى عنه وهو ما يخص النبي إسماعيل – عليه السلام – هذه التورية فتحت فضاء النص على مجال تخيلي واسع يبتعد عن التعبير بالدلالات المباشرة ولا سيما أنَّ الشاعر جاء بعدد من التوصيفات المباشرة التي سبقت، لكن مجيء هذه التورية زاد من الإيهام بالنص، ممَّا يستدعي تأمَّلاً أكثر للكشف عن البنية المتوارية في النص التي عمقت بدورها أدبية النص ونقلته من التعبير المباشر إلى مظهر من المظاهر ذات الاتساع الدلالي.

أرضـــــى العفـــــاةَ عـــــن الـــــدُّنيا وســـــاكنها ... وفي رضـــــا المعتفـــــى ســـــخطٌ علـــــى المـــــالِ

(١) ديوان ابن حجر: ١٣٩.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

أضـــحت بعزَّتـــهِ الـــدُّنيا تعـــزُّ ومـــا زبيـــدُ إلَّا بهـــا غـــايات آمـــالي[١]

هذه الأبيات جزء من قصيدة طويلة في مدح الملك الناصر أحمد بن الأشرف صاحب اليمن فأثنى عليه الشاعر بأنواع المكارم ومما ارتقى بدلالة النص مجيء التورية المرشحة في (تعز) فالمعنى القريب من العزة، والذي اقترن بقوله.

وقد عملت التورية على التعبير بالترميز الذي يخفى على القارئ إلَّا بعد التأمل والتفكير، وهذا الاتساع عمل على تشكيل صورة للممدوح الذي أضحى بعزته الدنيا وشرقت تعز بمكارمه واضحت غاية الامل، وجاءت هذه التعابير على نحو بنية ذهنية عميقة تعد مظهرا مميزا من مظاهر الاتساع الدلالي للنص، ولاسيَّما أنَّها تضافرت مع أسلوب الطباق في (رضا، المعتفى، سخط المال) التي تهي الذهن للتورية فتكون صورة كلية تبين مقصدية الشاعر في الشتاء على الممدوح وتعداد فضائله من كرم وعزة

لقد أدت بنية التورية هنا دورا في تماسك الدفقات المعنوية في النص، والتلوين في النص اصبح كما هو معروف من المعايير النصية المهمة لانتاج المعاني الإبداعية واثراء أدبية النص[٢]

ومن الأنموذجات الشعرية التي تميزت بالأبعاد التخيليَّة والتي بينية ظاهرها متماثل لكنها تخبئ مفارقات أدت الى اتساع دلالي ينبئ عن دور الأسلوب البديعي في اثراء هذا الجانب، ومن ذلك قوله[٣]:

قَطعـــتَ رســـمَ الوَصـــلِ يا هـــاجِري فارِفـــق بِعـــافٍ دَمـــعُهُ يَهـــمي

كـــانَ عَـــلى رَســـمٍ عَـــفا باكيـــاً صـــارَ هـــوَ العافـــي بِـــلا رســـمِ

فالتورية في البيت الأول بقوله (بعاف) اذ انها القراءة الأولى الى ان مقصدية الشاعر، العاف هو من ترك الديار وهي تحتل المكانة في ذهن الشاعر، لكن يحتمل تعبير بالتورية التي جردت عما يلائم المورَّى به او المورَّى عنه، بل كانت التعابير بالإيهام الذي يترك فسحة للقارئ ملء هذه الفجوات الدلالية

(١) ديوان ابن حجر: ١٤٦– ١٤٧.

((٢ينظر، النص الادبي تحليله وبناءه مدخل اجرائي، د. إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، ط١، عمان، ١٩٩٥م، ١٥٥، ١٥٧.

((٣الديوان، ٢٥٤، تح، د. فردوس.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فترك تعبير (العاف) يخبر الشاعر به عن السمو والعفة التي يتحلى بها، ففضل التسامي عن كل ما يضعف من عزيمته، وفضل الانشغال بدمعه بدلا من الإفصاح والركون والاستسلام.

فيتضح دور أسلوب التورية اثرا أدبية النص من خلال ادامة زخم التصوير الشعري، زد ذلك يتضح لنا الدور الجوهري الذي يمكن أنْ يأتي من خلال التوظيف السليم للأسلوب البديعي.

وكذلك نقرأ له[١]

خَليلَـــيَّ ولَّى العُمـــرُ مِنَّـــا ولم نَتُـــبْ ونَنـــوي فِعَـــالَ الصَّـــالِحاتِ ولكِنَّـــا

فحَـــتَّى مـــتى نَبـــني بُيـــوتًا مَشِـــيدَةً وأعمـــارُنا مِنَّـــا تُهَـــدُّ ومـــا تُبنـــا

إنَّ المقطوعة الشعرية في سياق تأنيب النفس ومحاورتها لحثها على فعل الصالحات، فالانشغال واضح بتشييد البيوت وغيرها من مطامع وإزاء ذلك العمر في تناقص وفرص التوبة والعودة إلى الله تقل أيضا.

إنَّ هذه المعاني لقيمة تطلبت صياغة خاصة تبعدها عن التقريرية والتكلف التي تعرقل العمل الإبداعي، فجاءت التورية في وما تبنا إذ إنَّ الكلام الذي قبلها يوجه الذهن نحو البناء وما شابه.

لقد مثلت المقاطيع الشعرية في ديوان ابن حجر العسقلاني مساحة مهمة، وغالبا ما نجدها تزدحم بتصوير شعري يعود أغلبه للتورية إذ إنَّ هذا التكثيف والزخم الشعري يتطلب بنية عميقة تحمل القارئ على التأمل وإجالة الفكر، وكانت التورية اصدى هذه التقنيات الإبداعية في مواضع كثيرة من هذه المقاطيع منها قوله[٢]:

اني عشـــقت دنيـــا لا خـــلاق لـــه بـــه تشـــردت عـــن اهلـــي وعـــن وطـــني

ولم يواصـــل ولم يســـمح بطيـــف كـــرى فـــانظر تجـــده علـــى الحـــالين شـــردني

جاءت التورية هنا في (شرَّدني) في قوله (فانظر تجده على الحالين شرَّدني) فرغم إنَّ الشاعر هنا تحدث بصيغة المتكلم في (اني عشقت) إلَّا إنَّ المعنى يشمل ذات الاخرين عن صحبة السوء البذين يكونوا سببا بالخسران والضياع، فمجيء (شرَّدني) تحمل معنى الشر الدنيء وهذا المعنى وان كان مقترنًا بكلام قبله يشير إليه (دنيا لاخلاق) إلَّا إنَّهُ محتمل وربما يكون هو مقصدية الشاعر، وممكن إنَّ يكون تعبير (شرَّدني) من التشرد والضياع وهذا كله عمل على رفد النص بطاقة أدبية واسعة

(١) الديوان، ٢٥٦،نح د. فردوس نور علي حسين.

(٢) الديوان، ٢٦١، تح د. فردوس نور علي.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

دع يا عـــذول لي المـــلام فمنـــد ســـرى عـــنى الحبيـــب فنيـــت دام لـــه البقـــا
والطـــرف مـــذ فقـــد الرقـــاد بكـــا بمـــا يحكـــي الغمـــام فلـــيس يهـــدا بالرقـــا

نجد التورية في قوله (بالرقا) فتحتمل معنى، بالرقا وتحتمل معنى، الرقى وهي تورية مجردة إذ لم تقترن بما يلائم أي من المعنيين القريب أو البعيد وهذا يتناسب مع حجم الضغط النفسي والسام من عذول لائم وما بين فراق المحبوب، فقد نادر الطرف الرقاد وابكاه كالمطر، ولا يهدا هذا الطرف بالرقا.

وتركت التورية المجال الدلالي مفتوح للتأويل، وهذا أدى لزيادة مسافة تأمليّة النص ومن ثَمَّ المقدرة على نقل المشاعر إلى الاحاسيس والمتلقي والتأثير به.

ونقرأ لابن حجر أيضًا قوله[١]:

يقـــول صـــحبي حـــين أصـــبحتُ مِـــنْ طيـــب الهـــوى أهتـــز نشـــوانَا
مَـــنِ الـــذي تهـــوى وهـــلْ لان أو قســـا فـــؤادا قُلـــتُ بـــل لانا

لقد جاءت التورية في "بل لانا، وفي رواية "بلانا" وهي تناسب التورية التي زاد من المساحة الدلالية للمقطوعة، إذ تتزاحم معان في فضاءات يستكشفها القارئ بعد إجالة الفكر والتأمل، وهذا بدوره يكشف القناع عن حالة من الاحباط التي أصابت الذات المتوارية في النص، والتي كانت يائسة من الآخر الذي كان الشريك الذي يكن له المشاعر، التي تهتز إليه طيبا ونشوة، لكنه وبهذه الأحوال لا يرجو التواصل، بل أنَّه صبٌ وعذابات يأس وعدم تقدير لمشاعر المودة الصادقة.

وفي سياق اظهار المودة للمحبوبة، على أمل الوصال، نجد له مقطوعة تتخذ من التورية سبيلًا لتكثيف دلالتها، إذ قال[٢]:

حبيبـــة قلـــبي ســـاعديني فـــإنَّني أمـــوت ومـــالي في الهـــوى مـــن مســـاعد
وزُوري فـــإنْ واصـــلتِني ورحمتـــني يكـــنْ لـــك كفّـــي كالوســـادِ وســـاعدي

فلا يخفى على المتذوق أنَّ التورية في "ساعدِي" والتي حاول أن يضلل القارئ عن دلالتها الأصلية عبْرَ التقديم لها بما يتناسق مع الساعد الذي هو جزء من الذراع، لكن الطريف الذي حصل هنا، أن الشاعر

(١)) الديوان، الموضع السابق.
(٢) الديوان: ٢٦٥.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

ألمح بلطافة، إلى المشاعر تجاه المحبوب، وكأنّه ترك الباب على مصراعيه لاحتمالية الدلالات التعبيرية بالنص؛ لتناسبها مع طبيعة ذلك التودد، وهذا كله ينم عن حُسن توظيف الأسلوب البديعي وعدم انحساره في ضمن دائرة التحسين العرضي الزائد، بل كانت التورية هي بنية من العواطف والأخيلة الممتزجة فيما بينها؛ لتشكيل لوحة شعرية قوامها التورية التي رفدت النص بسمات إيحائية عالية.

إنَّ طبيعة التورية وتناغمها من متطلبات المتلقي أدى إلى وضود دورها بعدها مظهرا من مظاهر الاتساع الدلالي، إذ إنَّ الداعي لها ربما لا يتحصله إلَّا من أصحاب الملكة البلاغية وتذوق التعابير المميزة التي تتكون من بنى دلالية جديدة ذات تحول دلالي مستمر بحسب الاحتياج من (إخفاء أو تمويه أو تندر وبحسب اذهان المتلقين)[١]

الخاتمة والنتائج:

بعد هذا العمل البحثي الذي نحسبه متواضعًا إلّا أنّنا استكشفنا قيمة مهمة لأسلوب التورية في شعر ابن حجر العسقلاني، ضمن سياق إمكانية توظيف البنية بلاغيًا، وعدّها رافدًا مهمًا لدعم الأسلوب البديعي، وقد أدّى هذا المسار إلى إفراز نتائج أهمها:

- كانت التورية ذات أبعاد دلالية أسهمتْ في إثراء التصوير البديعي، وتعميق الطابع الرمزي للأعمال الإبداعية فهي تمكّن الشاعر من التعبير عن المغزى الذي يلوّح إليه في النص بطاقة إيحائية تأملية.
- لقد تم توظيف التورية في شعر ابن حجر، وفي مواضع عدة؛ توظيفًا متظافرًا مع التعبيرات المجازية؛ لتحقيق أغراضًا تواصلية جمالية لا تتوافر من التعابير التقريرية المباشرة، لما فيها من طرائف المعاني، ورشاقة التعبير، وتحقق عنصر المفاجأة والإثارة التي هي من العناصر المهمة في المظاهر الدلالية للبنى البديعية.
- تميزت بنية التورية في شعر ابن حجر بأنها أدت دورًا مهما في تماسك المعاني الإبداعية في النص، والتوليف في النص الذي أصبح –كما هو معروف– من المعايير النصية المهمة لإنتاج المعاني الإبداعية واثراء أدبية النص.

(١) ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها، عبد الرحمن حبكة، ج١/١٤٩

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

- غالبا ما يجد القارئ لشعر ابن حجر مجيء التورية المجردة على نحو أكثر نسبيا بالأنواع الأخرى، وهذا أدى إلى فتح المجال الدلالي للتأويل، وزيادة المسافة التأملية للنص ومن ثُمَّ المقدرة على نقل المشاعر إلى الاحاسيس والمتلقي والتأثير به، ولاسيما أنَّ ابن حجر كان يقول الشعر في مواضع التندر والألغاز والتباري في هذا الميدان وإظهار المقدرة اللغوية والشعرية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية، والتداولية، والبلاغة العربية: الدكتور أسامة مُحَمَّد إبراهيم البحيري، منشورة في كتاب الندوة الدولية للبلاغة العربية في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالسعودية عام ٢٠١١ م

٢- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٩م.

٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وأفانينها، عبد الرحمن حبنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤- البنية والبنيوية والدراسات الأدبية واللسانية العربية، في البنية اللغوية والاصطلاح النقدي، د. يوسف بوغليس، مجلة الدراسات اللغوية، مخبر الدراسات اللغوية، الجزائر، ط٦، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع المصري (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: د. حنفي مُحَمَّد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– الجمهورية العربية المتحدة،ط١، ١٩٦٣م،

٦- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧- الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) تحقيق؛ أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٩٨٠م،

٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة– القاهرة، ط/١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٩- دلائل الإعجاز، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجرجاني النحوي (المتوفى سنة: ٤٧١هـ ، أو سنة ٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

١٠- ديوان شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة: د. فردوس نور علي حسين، دار الفضيلة للطباعة والنشر، ط١، (د.ت).

١١- رفع الإصر عن قضاة مصر، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق د.علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١٤١٨،١/١٩٩٨م.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

١٢- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الشيخ مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي- القاهرة، ط/١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٤- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت.، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٥- العُجاب في بيان الأسباب: أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق؛ أبو عبد الرحمن فواز زمرلي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٦- العمدة لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٧- لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٨- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: مُحَمَّد كامل عويضة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٩٩٨م

١٩- المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين ابن مالك الشهير بابن الناظم (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب- القاهرة، ط/١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.

٢١- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط).

٢٢- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكَّاكي (ت: ٦٢٦ هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.5